الإبنة الغريبة

رحاب أحمد

إبهار

تصميم:-

غلاف خارجي: مها الجندي

داخلي وتنسيق: رحاب جمال

تدقيق لغوي:

أسماء الموطيع - هبةالله عيسى - محمود علي

مقلد

الفصل الأول

دخل الوالد إلى حجرة الفتاة، كان الوقت متأخرًا فقال الأب:

- هل أزعجتكِ يا ابنتي؟

- لا يا أبي.

- حسنًا يا حبيبتي، لقد كنت أفكر في شابٍ أتى إليّ وطلب يدك، ما رأيك؟

- من هو يا أبي؟

- ماجي، لا أعتقد أنك تعرفينه فحتى أنا لم أره إلا في الليلة الماضية.

- ربما الْتقيت به قبل أن أجدك، هل نسيت يا أبي؟

- أجل نسيت يا حبيبتي. حسنًا إنه يدعى «عمار»، هل تعرفينه؟

- لا يا أبتي، أنا لا أعرفه، فلم أسمع بهذا الاسم من قبل.

- حسنًا يا حبيبتي، لقد أخبرته أن يأتي غدًا لتتعرفين عليه،

وعليك أن تخبريني بر أيك.

خرج الأب «نبيل» مطمئنًّا على ابنته «ماجي»، بدأت تتذكر ما الذي جاء بها إلى هنا وهي ليست ابنة الرجل؟ حتى شردت في الماضي، تتذكر أنها هي التي فعلت هذا بنفسها؛ عندما ظهرت له فجأة لتنقذه من سيارةٍ مرت من أمامه فكانت المفاجأة أنها تشبه ابنته، فجاء قوله الذي أدهشها:

- ماجي! حبيبتي، ابنتي، كنت أعلم أنك لم تموتي، كنت أشعر بذلك.

- لا يا سيدي، أنا لست ماجي، أنا أمنية و...

توقفت عن الكلام؛ فهناك بعض الإشارات من الخادم يشير إليها بالصمت، فقال هذا الخادم لسيده نبيل -الرجل الذي كان مستعدًا أن يعطي كل ثروته لشخصٍ يجد ابنته-:

- سيدي، إنّ الوقت يسرقنا، علينا أن نذهب؛ فالسيارة تنتظرنا.

وأشار للفتاة بالرحيل دون أن يلاحظ نبيل، فأخبره قائلًا بصوتٍ ضعيف:

- مروان، أترى هذه الفتاة؛ إنها تشبه ماجي وأعتقد أنها هي.

ولم يكمل كلامه حتى الْتفت ولم يجدها فذهب مع الخادم «مروان». عادت أمنية إلى بيتها الصغير الذي عاشت فيه طفولتها مع أمِّها و أبيها، فعادت مسرعة لحاضرها، ماجي وهي تقول لنفسها:

- إنّ أمنية لم تكن تتوقع أن هذا حاضرها ومستقبلها ولكن باسم ماجي.

في اليوم التالي ذهب نبيل لإدارة الشركة وذهبت ماجي للنادل مروان فأخبرته قائلة:

- يا سيد مروان، أريد أن أذهب لأطمئن على والديَّ فأنا هنا منذ فترة طويلة، وأظن أنهما قلقان علي.

- لا تقلقي، معهما من المال ما يكفي لينسيهما العالم بأكمله.

- ولكنهم أهلي! أريد أن أطمئن عليهم.

- قلت اطمئني! إنهما بخيروإن أصابهما مكروه ستكونين أنت أول من يعلم.

- يا سيد مروان، لماذا لا تريدني أن أذهب و أقابلهما؟

- يا آنستي، إن ذهبتِ ورآك أحدهم سيعرف أنكِ لستِ ابنة السيد نبيل وبهذا يضيع المعروف الذي تفعلينه، آنستي، إن كنت تشعرين بالملل يمكنكِ الذهاب في نزهة.

فتذكرت ماجي هذا الشاب فقالت له مسرعة:

- آه! لا، لن أذهب إلى أي مكان، عن إذنك.

وذهبت بعدها لتهيئ المنزل لاستقبال الزائر الذي يدعى عمّار، ولكن أسرعت الخادمة بقولها:

- لا يا آنستي! أنا من علي أن تعدَّ المنزل لاستقبال الضيف.

فتركتها ماجي، ودخلت غرفتها لتعود بذكرياتها للماضي، تذكرت يوم أتى في مثل هذا اليوم ضيف ليطلب يد شابة جميلة

للزواج منها، فخرج من عندها حزينًا؛ لأنه كان يحبها وهي رفضت الزواج منه، مهلًا لقد عادت أمنية لحاضرها؛ ماجي! على صوت طرق الباب فدخل الطارق:

- عزيزتي ماجي، تعالي، أريد التحدث معك.

- أنا قادمة يا أبي.

وبعدها ذهبت خلفه فابتسم وقال لابنته مهنئًا بالزواج:

- عزيزتي ماجي، أنتِ جميلة دون مساحيق الوجه فاستعدي لاستقبال عمار دونها.

أعطاها عِقدًا وقال معلقًا عليه:

- ارتدي هذا العِقد، كانت أمك ترتدي هذا العقد الجميل وكانت كوردة تفتحت لتوها، وأنا واثق أنه سيكون رائع الجمال عليك يا صغيرتي.

- ولكنه يا أبي قيم جدًا بالنسبة لك.

- ولأنه قيم سأعطيك إياه، لأن أمكِ طلبت مني هذا قبل مماتها.

فو افقت ماجي؛ لأنها ابنته، وفي نفس الوقت قلبها يرفض؛ لأنها أمنية وليست ابنته.

في المساء أتى الضيف ليرى زهرة من زهور الربيع، وهي في عينيه زهرة تنزل من أعلى الشجرة لتقابله وتسلم عليه مرتدية عقد أمها الذي يلمع مع لمعان عينيها الجميلتين، بدأ نبيل كلامه قائلًا:

- بالطبع أنت تعرف ابنتي ماجي، وهذا هو عماريا ابنتي العزيزة.

- تشرفت بك.

- بل أنا من ازددت شرفًا بمعرفتك يا ماجي.

"لم تحضر الخادمة الضيافة." تلك كانت كلمات نبيل فأضاف أيضًا:

- عن إذنك يا عمار، سأذهب لإحضار الضيافة لك.

"أفضـــل" وهكذا رد عمار على نبيل وبعد ذهاب نبيل إلى الخادمة قالت ماجي لعمار:

- ما هو عملك؟

- لدي شـــركة أقوم بالإشـــراف عليها وأعمل بها، كم عمرك يا ماجي؟

- ٢٢ سنة.

- رائع! أتعلمين؟ كنت أريد دائمًا لحبيبتي التي ســـيختارها قلبي أن تكون أصغر مني بخمسة أعوام.

- أتقصد أن عمرك ٢٧ سنة.

- أجل، ماذا؟ هل أنا كبير؟!

- لا، لم أقصـــد، كنت أســـأل نفســـي دائمًا ســـؤالًا وهو: كيف للشباب أن يمر عليهم عمر ٢٧ أو ٢٨ أو أكثر ولم يتزوجوا بعد؟

- أعتقد أنهم لم يجدوا الفتاة المناســـبة لهم ومكانها في قلبهم، لهذا أنا هنا لأني وجدت من في قلبي لأتزوجها.

- بالنسبة لأبي هو يريد شابًا أستطيع أن أعيش معه نفس

حياتي ومســـتواي هنا، ويكون جيدًا في معاملته معي، هو دائمًا يقول لي أني رقيقة لن أتحمل كلمة أو حتى لمسة من أي أحد.

- أجل، بالطبع أنا أتفهم ذلك واطمئني أنا لســـت قاســـيًا ولن أكون.

- أشـكرك على ذوقك، ولكني أريد شـخصًـا يسـتطيع فهمي دون كلامٍ مني، أقصد أن يكون...

- أجل، أجل أفهمكِ، أنت تريدين شـــخصًـــا غير أنه لطيف، تجدينه في أي وقت إن احتجت إليه، صحيح؟

- أجل صحيح.

وكان على وجهها ابتسـامة خفيفة، دخل نبيل ومعه الضـيافة، فاسـتأذنت ماجي لتذهب إلى غرفتها، فأذن لها.

الفصل الثاني

استأذنت ماجي للذهاب لغرفتها فأذن لها نبيل، واستأذن بعدها عمار فخاطبه نبيل قبل مغادرته قائلًا:

- حسنًا يا عمار، نراك الأربعاء المقبل، ما رأيك؟

- هل يمكن أن تكون ماجي قد انتهت من تفكيرها؟

- أتريد أن تأخذها مني بهذه السرعة؟ انتظر قليلًا فهي ابنتي الحبيبة.

ضحك، فقال له عمار:

- لا أستطيع طبعًا أن آخذها منك فهي ابنتك في النهاية.

- ستكون هناك مقابلة أخرى لتتعرف إليك أكثر ويتعرف إليها أكثر أيضًا.

خرج عمار من المنزل بعد اتفاقهما منتظرًا يوم الأربعاء ليرى حبيبته مرة أخرى.

طرق باب غرفة ماجي وكان الطارق نبيل والدها؛ جاء ليخبرها بأن عمار سيأتي يوم الأربعاء المقبل وعليها أن تفكر في رأيها، هل تقبل به أم لا؟ فقالت لوالدها:

- أعتقد أنه شابٌ جيد، فلقد لمحت فيه اللطف وراق لي فهمه لي، وصدقًا أنا أشعر بالانجذاب نحوه.

- إذًا يعني هذا أنك مو افقة؟

- لتتذكر ماجي حقيقتها قبل أن تجيب بنعم؛ حقيقة أنها أمنية الفقيرة وعمار شاب ثري، وإن علم أن ماجي ليست سوى أمنية فيمكن أن يظن بأنها خدعته وبالتالي سيكرهها، فقالت لأبيها:

- لا يا أبتي، انتظر، وأعطني بعض الوقت لأفكر أكثر.

فو افق على طلب ابنته وتركها لتنام.

ظلت تفكر في قرارها حتى خيل لها أن الحل هو: أن تأخذ رأي والديها الحقيقيين من وجهة نظرها، فذهبت إلى النادل مروان لتطلب منه السماح لها بالذهاب إلى والديها، لتتذكر أنه هو

من طلب منها أخذ مكان ماجي في هذا المنزل الكبير؛ من أجل الوالد الذي فقد ابنته ولم تقضي معه وقتًا طويلًا من عمرها، فو افقت بعد أن عرفت أن ذلك الوالد قد أصيب بالاكتئاب، وهذا ما جاء بها إلى هذا البيت.

عند خروجها من غرفتها اتجهت نحو غرفة مروان، لمحت والدها نبيل فسألته عن مكان تواجد مروان، فأخبرها أن تبحث عنه في غرفته فمن المحتمل أن تجده هناك، ذهبت مسرعة إليه لتخبره عما بداخلها، عندما طرقت الباب أذن لها مروان فقالت:

- أريد أن أذهب لأرى أمي و أبي فأنا أريدهما في موضوع ضروري.

- أتقصدين موضوع زواجك من عمار؟

فكرت قليلًا ثم أخذت نفسًا عميقًا لتقول:

- أجل، كنت أريد أن آخذ رأيهما في هذا الشاب، جيوبه مليئة بالأموال و أنا لست سوى... أنا فقيرة وإن خرجت من هنا فأول

شيء سيكون في جيبي هو التراب لا غير، ولا أريد أن أخدعه.

- ماذا تقولين؟ تخدعين عمار؟! لا، أنت فتاة طيبة وصادقة لن تفعليها.

صمت قليلًا ثم قال:

- آنستي، ألا تستطيعين إخباره بالحقيقة؟

- الحقيقة! كاملة؟! انتظر، أتقصـــد بكلامك إخباره بحقيقتي كاملة؟!

- أجل، فهذا سـيكون أفضـل لك قبل أن يعرف من أحدٍ غيرك فيعتقد أنك تقومين بخداعه.

- ولكن كيف سأقولها له؟! ماذا إن أخبر السيد نبيل؟

- سيظهر عليه أنه سيخبره.

- ماذا إن لم يظهر عليه؟ ماذا إن خدعني هو بكلامه؟

- لا تقلقي، سأكون معه إن أخبره بأي شيء.

- ماذا؟ أتظن أنني قلقة على نفسي من أجل ألا يطردني من هنا؟! أنا قلقة عليه هو؛ كي لا يصاب باضطرابٍ نفسي أو عصبي.

- لا تقلقي عليه فالسيد نبيل يخبرني بكل شيء يزعجه.

- ولكن كيف سأقولها له؟ تعلم أن أبي سيكون معنا يوم الأربعاء عندما أقابل عمار.

- لا تقلقي، سأطلب من السيد نبيل أن أحدثه على انفراد.

- حقًا، أشكرك يا مروان.

وقبل أن تخرج ماجي من الغرفة وعند اقترابها من الباب التفتت لتقول لمروان:

- هل علي حقًا أن أخبر عمار بالحقيقة؟

- بالطبع، وإلا سيظن أنك تخدعينه.

وخرجت متجهة إلى غرفتها لتنام.

في صباح اليوم التالي طلبت من والدها نبيل أن يسمح لها بتعلم شيء ما ولو القليل في المطبخ، ولكنه رفض و اقترح عليها أن تذهب معه لتشتري بعض الملابس الجديدة لزواجها، فو افقت ورحبت بهذا الاقتراح ليذهبا معًا ومعهما الخادمة المخصصة لماجي إلى مكانٍ مخصصٍ لبيع الملابس من كل صنف ونوع، بدأت تختار الفساتين والبناطيل والجونلات والبيجامات ولم تنس الملابس المخصصة للاستحمام والداخلية من أماكن عدة، تنتقل بين هذا وذاك وعند خروجهما من آخر محل التقيا بعمار فحياهما، سأله نبيل عن سبب مجيئه لهذا المكان فأجابه بقول:

- أنا جئت لأشتري بعض الملابس، ماذا عنكما؟!

- ونحن أيضًا هنا لشراء بعض الملابس، حسنًا يا عمار، نراك يوم الأربعاء، إلى اللقاء.

عادا إلى المنزل فنامت ماجي نومًا عميقًا، ليأتي بعدها اليوم المنتظر؛ يوم الأربعاء، استيقظت الشمس وأما ماجي فكانت

تفكر في كيفية إخبار عمار بحقيقتها حتى بدأت أشعة الشمس تدغدغ عينيها فقد كانت و اقفة في الشرفة، أغلقتها ودخلت لغرفتها لتنتقل من تفكيرها في عمار، للتفكير فيما سترتديه اليوم، فتحت خزانتها ووقفت أمامها تفكر... وتفكر... وما زالت تفكر دون توقف حتى طُرق الباب ودخل نبيل ليقول:

- حبيبتي ماجي، هل أنت مستعدة للقاء عمار وأخذ القرار النهائي في موضوع زواجك منه؟ أم أنك اتخذتي قرارك بالفعل؟!

قالها مبتسمًا فردت عليه ماجي قائلة:

- لا يا أبي، لم أقرر بعد، لا تقلق، لن يتأخر قراري كثيرًا.

- حسنًا يا حبيبتي، خذي وقتك في التفكير.

وخرج من غرفتها وعلامات السعادة على وجهه واضحة. وقفت أمام خزانتها تقول لنفسها:

- إن و افق عمار على الزواج من الفقيرة أمنية؟ فما المانع من

الزواج بهذا الشاب عمار؟

تأخذ نفسًا عميقًا وتتجه بتفكيرها إلى اختيار ما سترتديه، لتقرر أخيرًا بأن الملابس البسيطة ستكون ملائمة لأمنية كثيرًا.

مرّ الوقت سريعًا ولم تشعر به، لم تخرج من غرفتها حتى سمعت صوت جرس الباب وبعده أتى صوت طرقٍ على باب غرفتها، بعد أن أذنت ماجي للطارق طلب منها النزول إلى أبيها نبيل، وبعد لحظات نزلت الزهرة الجميلة، لاحظ نبيل أنها لم ترتدي عقد أمها، دخل بعدها مروان وطلب من نبيل التحدث في موضوعٍ هام فاستأذن نبيل عماركي يخرج ليعرف ماذا يريد مروان منه؟ خرج نبيل من غرفة الجلوس وجلست ماجي تفكر كيف تبدأ موضوعها حتى قال لها عمار بعد صمتٍ طويل منهما:

- ماذا؟! لماذا لا تتكلمين؟!

- ماذا تقصد؟! عن ماذا أتكلم؟

- أعرف من ملامح وجهك أنك تريدين التحدث في موضـــوع، فلماذا لا تتحدثين؟

- عن أي موضوع تقصد؟

يجيب عمار بضحك:

- ماجي، كل ما أعرفه أنك تريدين الكلام، في جعبتك الكثير من الكلام، حول موضـــوع ما ولكن لا أعرف ما هو، أريد أن أعرف هذا منك.

- أنا...

الفصل الثالث

- ماجي، كل ما أعرفه أنك تريدين الكلام، في جعبتك الكثير من الكلام في موضــوع ما، ولكن أنا لا أعرف ما هو الموضــوع، أريد أن أعرف هذا منك.

- أنا لا أعرف كيف أبدأ الموضوع؟ إن الموضوع هام وخطير جدًا وسري للغاية ولا أعرف كيف أتكلم عنه؟

- يا له من موضوع! هل هو مهم للتحدث عنه؟

- أجل، بالطبع.

- إذًا فلتبدئي من بدايته.

- لن تخبر أحدًا، سيكون سرًا بيننا، اتفقنا؟

- اتفقنا، أنا متحمس لأعرف هذا السر.

- متحمس؟!

تأخذ ماجي نفسًا عميقًا لتقول ما بداخلها والتوتر ظاهر على

كلماتها:

- أنا.. أنا لست ابنة نبيل، اسمي الحقيقي أمنية وليس ماجي.

ظهرت الدهشة على ملامح وجهه، مما جعل ماجي تتوقف عن الكلام لبضع ثوانٍ ثم عادت لتكمل كلامها:

- أنا فتاة عادية فقيرة، ولدت في عائلة فقيرة جدًا، وفي يوم قابلت سيد "نبيل" صدفة، عرفت أنه قد تعرض لمو اقف من الصدمة العصبية والنفسية، و افقت على أن أعيش هنا على أنني ابنته التي ماتت.

كانت هناك ابتسامة على وجه عمار، يحاول إخفاءها عن ماجي وأخفاها بقوله:

- لماذا تقولين هذا لي الآن، ألا تخافين إن عرفت أن أرفض الزواج منك؟

- أفضل أن تعرف مني على أن تعرف من أحد غيري فتقول أني خدعتك... ولكن بعد أن عرفت اخترالآن، هل حقًا تريد الزواج

من أمنية الفقيرة؟ ولكن إن رفضت فليبقَ سرًا بيننا، لا تخبر به سيد "نبيل".

- لماذا؟! لماذا لا أخبره؟ عليه أن يعرف أنك لست ابنته.

- لا... لا تخبره، أنا أخشى عليه إن عرف فقد يصيبه مكروه.

وهذه المرة ظهرت عليه الابتسامة واضحة ولم يستطع إخفاءها، فقالت له ماجي:

- لماذا تبتسم؟ هل هناك شيء؟

فأجابها بابتسامة:

- لا ليس هناك شيء، ابتسمت لأني شعرت أن حبي لك ازداد بسبب كلامك.

- زاد؟! كيف؟ أنا أخبرتك أني فتاة ليست بنفس مستواك المادي، و أنت تقول أن حبك ازداد؟!

- أجل، أتعرفين؟

نظر إلى الباب و اقترب من أذنيها وخفض صوته وقال:

- أتعرفين؟ أنا أعرف كل الذي قلتيه، ولكن طلب مني أن أخفي هذا عنك.

- تخفيه؟! لماذا؟ ومن الذي قال لك؟

- أبوك هو من قال لي، و أنا و افقت على أن أخفي عنك أني أعرف وأن أباك يعرف، و أيضًا أو افق على الزواج من أجمل فتاة رأيتها ليس لشكلها فقط، بل لأخلاقها أيضًا.

واحمر وجهها خجلًا ونظرت إلى الأرض، وأما عن مروان ونبيل ينظران إلى الساعة، قال نبيل لمروان:

- أعتقد أنها الآن قالت له ما كانت تريد، صحيح؟

- أجل يا سيدي، أعتقد أنهما أخذا الوقت الكافي للحديث مع بعضهما.

وبضحك خرج مروان ونبيل من غرفة مروان ليدخلا غرفة الاستقبال، قال نبيل لماجي:

- ما رأيك الآن في عمار؟ هل أنتِ مو افقة عليه؟

قالت بخجل:

- مو افقة يا أبى.

نظر نبيل إلى عماروقال:

- حسـنًا يا عمار، طالما و افقت ماجي فلنحدد موعد الخطبة، ما رأيك أيها العريس؟

- بالطبع، ولم لا يا عمي؟

ضحكوا... و اتفقوا على يوم ما يكون هو موعد الخطبة، وبعدما غادر عمار المنزل ودخول ماجي لغرفتها لكي تنام، جلس نبيل في غرفته يتذكروصول ماجي لمنزله ودخولها، وجد أن يد أمنية لم يصبها أي جرح عند معصمها، وعرف من اليد الخالية من الإصابة أنها ليست ماجي ابنته وعندما ذهب لمروان وبدأ يتكلم معه، قال له نبيل:

- مروان، هذه ليست ماجي رغم أنها تشبهها كثيرًا!

لم يرد عليه مروان بل تركه يتكلم ويستمع له وأضاف نبيل:

- ولكنني لا أستطيع أن أتركها، أشعرأنها ابنتي... أشعرأني أحبها وكأنها ماجي الحقيقية... هل على أن أتقبل أن ماجي ماتت؟ وأن الله عوضني عنها بهذه الفتاة التي تشبهها! كيف سأتعامل معها؟ كيف سأعاملها على أنها ماجي؟

كان يتكلم ولكنه يفكرمع نفسه، نظرلمروان ووضع يده على كتفه وقال:

- ولكن أتعلم؟ أشعرأنها ابنتي حقًا، عندما أنظرلها أشعرأنني أبوها، وأنها ماجي حقًا... أحبها عندما تقول لي أبي أو أبتي... أتعرف؟ سأعاملها كما كنت أعامل ماجي... و أنت يا مروان، لا تخبرها أنني عرفت أنها ليست ماجي.

- بالطبع، لن أخبرها بهذا يا سيدي.

- ولكن، من الذي أرسلها إلي؟

- من الممكن أن يكون شخص يعرف كم كنت متعلقًا بابنتك!

وحزنت عليها ويعرفها جيدًا ويعرفك يا سـيدي تمام المعرفة؛ ولهذا أرسلها إليك.

- ولكن عليـه أن يكون قريبًـا مني حتى يعرف حـالتي وإلى مـا وصـلت إليه في الأعوام الأخيرة.. شـخص قريب مني.. يا تُرى من هو؟

وبعد فترة من الصمت اتجه بنظره إلى مروان، وقال:

- أنت... أنت يا مروان، شخص قريب مني وتعرفني وتعرف ابنتي وتعرف حالتي التي وصلت إليها... هل أنت الشخص الذى أرسل هذه الفتاة لتكون ابنتي؟

- أنا تحت أمرك يا سيدي.. إنها فتاة طيبة وذات خلق وعلى قدر كبير من الاحترام وهي مستعدة لمساعدتك.

- و أنا سـأحافظ عليها وكأنها ابنتي الغالية حتى تنتقل مهمتي إلى شخص أمين، أثق فيه وأعطيه جوهرتي الغالية،

قالها وعلى وجهه ابتسامة. وعاد نبيل لحاضره يأخذ نفسًا

عميقًا، وما زالت ماجي مستيقظة تفكر.. كيف عرف نبيل بحقيقتها؟ ولماذا أبقاها في المنزل عنده طيلة هذه الفترة؟ حتى تعبت من تفكيرها فنامت من كثرة التفكير، واستيقظت على صوت العصافير التى تغرد بجانب شرفة غرفتها، وعندها قررت أن تسأل والدها نبيل عن السبب الذى جعله يتركها عنده طيلة هذه الفترة، واستأذنت ماجي لدخول غرفة نبيل، فأذن لها ودخلت.

- صباح الخير يا أبي، من أنا؟

- صباح الخير يا حبيبتي.. ماذا؟! من أنت؟! بضحك قال نبيل:

- أنت... أنت ماجى.

- لا يا أبي، أنت لا تفهمني، أقصد أنت تعرف من أنا؟

- بالطبع أنا أعرف.

فاقترب منها ونظر في عينيها وأمسك يدها وهو يقول:

- أنت ابنتي وحبيبتي ماجي، أعرف هذا بمجرد النظر إلى عينيك

فهي عينا أمك.

تأخذ ماجي نفسًا عميقًا وتترك يد نبيل قائلة:

- حســـنًا، طالما أنك لا تظهر لي ما تعرفه ســـأقول أنا لك ما أعلمه، فأنا أعرف أنك تعرف أني لست ابنتك بل أنا فتاة أخرى تشبه ابنتك ماجي.. أليس هذا صحيحًا؟

الفصل الرابع

- حسـنًا، طالما أنك لا تظهرلي ما تعرفه سـأقوله أنا لك، فأنا أعرف أنك تعلم أني لست ماجي بل أنا فتاة أخرى تشبه ابنتك ماجي، أليس هذا صحيحًا؟

فكرنبيل أن يفعل كما فعل معه مروان؛ يلتزم الصمت، ولكن بعد وقت طويل من الصمت، لم تقل أمنية كلمة أو حرفًا واحدًا بل وقفت تنظر إليه كما وقف نبيل ينظر إليها حتى قال:

- لماذا تقولين هذا؟ هل تعتقدين أنني لست أبًا جيدًا معك؟ هل صدر مني شيءٌ أغضبك؟ لهذا تقولين هذا الكلام.

- لماذا تعتقد هذا؟

- لأن كلامك يلمح أنك لست ابنتي، ولكن قلبي دائمًا كان يشعر أنك ابنتي، وكنت أعتقد أني أعاملك معاملة الأب لابنته.

- أنت فعلًا كنت تعاملني كالأب، ولكني كنت أود أن تخرج من حياتك السيئة وتُشفى منها تمامًا.

- لقد شـفيت منها حقًا، ولكني أحببتك كما لو كنتِ ابنتي حقًا، لا تقولي أنك تريدين أن تذهبي وتتركيني وحدي.

وأخيرًا، فرطت من عين نبيل الدمعة التي حاول منعها من الفرار، وعندما رأت أمنية عين نبيل وهي تدمع قالت ما لم تتوقع أن يأتي على لسانها:

- لا يا أبي، أنا لم أقصد، أنا لن أتركك، فأنا أحبك وكأنك أبي حقًا.

وظهرت ابتسامة خفيفة مع الدموع وقال وهو يبكي من سعادته:

- أنا أيضًا أحبك كثيرًا يا حبيبتي، إذًا فماذا تقصدين بكلامكِ؟

- أقصد أنا أمنية لدي والدان، هل يمكن أن أزورهما؟

- بالطبع، في أي وقت تريدين، متى شئت أن تذهبي إليهم أخبريني واذهبي، ولكن لا تنسي العودة؛ فهذا منزلك.

- حسنًا، اتفقنا يا سيد نبيل.

- ماذا؟ سيد نبيل! لا، قولي أبي أرجوك؛ فأنا أحب أن أسمعها منكِ.

- حسنًا يا أبي اتفقنا، ولكن هل يمكن أن أزورهما غدًا؟

خرجت من غرفة نبيل بعد مو افقته وظلت باقي اليوم تفكر، ماذا تقول لأمها و أبيها بسبب الغياب طوال الفترة؟ و أين كانت؟ وفي اليوم التالي بعد أن استعدت أمنية للذهاب إلى والديها، دخل نبيل إلى غرفتها بعد أن استأذن فقال:

- هل استعددتي؟

- أجل، سأذهب الآن.

- ومتى ستعودين؟ لا تتأخرى.

- لا أعرف متى سآتي، ولكن سأحاول ألا أتاخر.

و اتفقا على أن تعود أمنية بعد أن تطمئن على والديها، خرجت من المنزل متجهة إلى منزلها الذي أقامت فيه مع أمها و أبيها وبعد وصولها طرقت الباب ففتحت لها انتصار، قالت لها

أمنية:

- مرحبًا يا أمي، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

فنظرت انتصار إلى أمنية غير مهتمة بها وقالت:

- أنتِ! ألم يخبركِ أبوكِ؟

- يخبرني بماذا؟

- لماذا عدتي؟ لم نكن نتوقع أنك ستعودين، لقد قال مروان أنكِ عند رجل يعاملكِ كابنته، فلماذا تركتيه وجئتي؟!

لم ترد أمنية من الدهشة مما تسمعه، وأضافت انتصار:

- آه، آسفة لم يخبرك أحد؛ أنت لستِ ابنتنا، نحن لم ننجب بل أعطاك أحد إلينا ومعك الكثير من المال لننفق عليك، إما نأخذك بالمال وإما لا نأخذ المال طالما لا نريدك، والآن انتهى المال الذي لدينا لك ونطلب منكِ أن تذهبي لتعيشي مع ذلك الرجل؛ فلديه الكثير من المال لأجلك.

- ولكن فيم تم صرف ذلك المال؟

- عليكِ طبعًا، كنتِ تطلبين الكثير من الأشياء و أنتِ صغيرة.

- كنتِ دائمًا ترفضين، وبعدها لم أكن أطلب الكثير كما تقولين.

- ماذا؟ وهل تتذكرين أكثر مني؟

- أجل، أتذكر جيدًا أنك كنت ترفضين الكثير من الطلبات التي كنت أطلبها، ولكن ماذا عن باقي المال؟

- قلت لكِ أن المال نفد، و أنتِ الآن شابة جميلة، وماذا إن أتى شاب وطلب يدكِ؟ كيف سنقوم بتجهيزكِ؟ ومن أين؟ ولكن عند هذا الرجل ستجدين ما لم تجديه عندنا.

- بالطبع سأجد الكثير هناك، وماذا عن أهلي الحقيقين؟ هل تعرفين شيئًا عنهم؟

- لا نعرف شيئًا عنهم، فلقد أتت بكِ إلينا خادمة كانت تعمل عندهم.

- وماذا عن الخادمة؟ أتعرفين أين هي الآن؟

- أجل، لقد ماتت منذ زمن ليس بطويل.

- أليس لديها إخوة؟

- لا نعرف شـيئًا، كل ما نعرفه أنكِ ابنة أناس أثرياء، أصـيب أحـدهم بمرض مميـت والآخر مـات قبلـه ولا نعرف إن كـان المصاب مات أم لا.

- من كان المصاب؟ أقصد أبي أم أمي؟

- لا أعرف صدقيني، أنا لا أعرف شيئًا.

- حسنًا، إذًا سأغادر.

وخرجت أمنية من منزلها الذي عاشـت فيه حياتها، عاشـت حزنها وفرحها، وظلت تمشـي في الطرقات دون وجهة محددة في مختلف الشـوارع، حتى حل الليل وفكرت أين تذهب؟ وتذكرت كلام نبيل لها وأنها قـالـت: أنها سـتعود إلى المنزل كابنة لـه، وتذكرت كلام انتصـار لها: "مع هذا الرجل سـتجدين ما لم تجديه عندنا" ،وقررت في النهاية الرجوع إلى المنزل الذي شعرت فيه أنه منزلها، شـعرت بأن نبيل والدها رغم أنه غريب عنها

ولكنها لم تشعر بأنه غريب أبدًا عنها، وفي لحظة دخولها للمنزل مرة أخرى كان الوقت قد تأخر وظل نبيل منتظرًا رجوع ابنته إليه مرة أخرى، فعندما رأى عيني ابنته وهى تدخل اتجه مسرعًا إليها؛ ينسى آلامه وينسى شيخوخته وهو يركض نحوها ويضمها بشدة ناحية قلبه؛ فلقد افتقد ابنته التي غادرت هذا الصباح، لم يكن يعرف متى ستعود؟ لم يسألها لماذا عادت؟ فقط اكتفى بالنظر إليها وإلى عينيها، فلقد قال قبل هذا أن عينها تشبه عين أمها التي ماتت منذ وقت طويل جدًا ولم يتحمل موت ابنته أيضًا؛ لهذا تمسك بابنته البديلة؛ أمنية. شعرت أمنية بكل هذه المشاعر من الحب والاشتياق والفقد والخوف، لم تفعل شيئًا سوى أنها بكت في حضنه، بكت في حضن الرجل الذي كان لها أب، ومن هذا اليوم لن يكون سوى أب لها. أوصلها نبيل إلى غرفتها وتركها لتنام بعد أن قَبّل جبهتها، ونامت نومًا عميقًا، وعندما استيقظت نظرت إلى الكرسي الذى بجانب سريرها الذي وجدت عليه أباها نبيل يمسك بيدها، وهي تتحرك لتجلس استيقظ الوالد فقال:

- استيقظتِ؟! هل أزعجتكِ؟

- لا يا أبي، أنا بخير.

وبعد نفس عميق قال:

- لقد اشتقت إليك كثيرًا، خفت ألا تعودي.

- لم يكن هناك مكانًا لأذهب إليه.

لم يرد عليها نبيل بل اكتفى بالطبطبة على كتفها فعادت تقول:

- ألن تسألني ماذا حدث عندما خرجت؟

- لا أريد أن أزعجكِ.

- ولكني أريد أن أتحدث.

- إذًا تحدثي، فأنا مستعد أن أسمعكِ متى شئتِ.

فحكت أمنية ما حدث لها بالأمس وعندها بكت بكاءً شـــديدًا فأسرع نبيل بمواساتها وقال:

- لا تحزنى، فأنا أبوكِ وأمكِ يا عزيزتي.

وظلت تبكي وهو يبكي.

تـــمـــت